



مجلة العاصمة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرالا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، ترونتيرم، كيرالا، الهند، ٦٩٥٠٣٤

أنيس منصور: رحلة الأدب والصحافة

توفيق رحمان

أستاذ مساعد، كلية م. إ. س. أسماء بي، كوتاكال، ترشور، كيرالا، الهند

أنيس منصور (١٩٢٤-٢٠١١م) هو من أبرز الأدباء والصحفيين المصريين، الذي بزغ نجمه في سماء مصر، وطبع الحياة الثقافية والإعلامية المصرية العربية، وأثر الفكر العربي الحديث والمعاصر، بمؤلفاته وكتبه ومنجزاته الأدبية ومقالاته اليومية، التي لا تعد ولا تحصى. وهو من الكتاب القلائل على مستوى العالم العربي، الذي امتلك ناصية الكلمة وملكة الكتابة وكان مقروءا من الصغار والكبار على حد سواء، بفضل موضوعاته المثقفة وأسلوبه الأدبي والصحفي البسيط الشفاف الواضح والرائج. ورغم ما حققه من شهرة واسعة ونبوغ بارزة تعدى مصر إلى الوطن العربي والعالم، إلا أن أنيس لم ينس جذوره الريفية والحياة الرعوية التي عاش في كنفها، وظلت القرية حاضرة بقوة في وجدانه وروحه وخاطره ووعيه وكيانه وكتابه.



ولد أنيس محمد منصور، وهذا اسمه الحقيقي في ١٨ أغسطس عام ١٩٢٤ م في قرية بالقرب من مدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية الواقعة في شرق دلتا النيل في مصر، حفظ القرآن كله وهو في سن التاسعة عند كتاب القرية كما كان طلاب المصريين العاديين، وكان له في ذلك الكتاب حكايات عديدة حكى عن بعضها كتابه "عاشوا في حياتي"، وكان يحفظ آلاف الأبيات من الشعر العرب والأجنبي. استكمل أنيس دراسته الثانوية في مدينة المنصورة حيث كان الأول على كل طلبته مصر حينها، وكان ذلك استكمالاً لتفوقه في صغره، حيث اشتهر بالنباهة والتفكير المنطقي السليم، وهذا تنمة تفوقه في السنين السابقة، التي اشتهر فيها بالمهارة والتفوق حتى أن أساتذتهم وزملاءهم كانوا يرون فيه مستقبلاً باهراً وشخصية فريدة. ثم التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية، دخل قسم الفلسفة الذي تفوق فيه، وحصل على ليسانس آداب عام ١٩٤٧م. عين أنيس أستاذاً في قسم ذاته بكلية آداب جامعة القاهرة. ثم عمل لفترة أستاذاً بقسم الفلسفة بجامعة عين شمس بالقاهرة من عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٦٣، لكن بعد سنين عاد للتدريس مرة أخرى عام ١٩٧٥، ثم تفرغ للكتابة والعمل الصحفي في مؤسسات الجرائد والمجلات والإبداء الأدبي في شتى صورته. ظل أنيس لفترة لا هم له إلا شراء الكتب ودراسته الفلسفة حتى وقعت له نقطة تحول مهمة، هي حضوره لصالون عباس محمود العقاد، والذي كان بالنسبة له بمثابة بوابة على عالم آخر لم يعهد من قبل، وسجل كل ذلك في كتابه "صالون العقاد كانت لنا أيام"² وقدّم فيه مشاكل جيله وعذاباته وقلقه وخوفه وأرانه في جيل العمالقة من أمثال طه حسين، عباس محمود العقاد، وتوفيق الحكيم، وسلامة موسى وغيرهم الكثير من أعلام الفكر والثقافة في مصر في ذلك الوقت.

عرفنا أنيس منصور بكتابه الفلسفية والفكرية، التي جمع فيها الأسلوبيين الفلسفي والأدبي. ورغم شغفه وعشقه للصحافة المطبوعة والمكتوبة إلا أنه كان يعشق الأدب أكثر، ودائماً كان يقول أنه أديبا يعمل في الصحافة. كانت بدايته في عالم الصحافة مع مؤسسة "أخبار اليوم" - إحدى أكبر المؤسسات الصحفية المصرية - حين التحق إليها مع كامل الشناوي، وتلمذ على يد مؤسسها الأستاذين مصطفى وعلي أمين. ثم ما لبث أن تركها وتوجه إلى مؤسسة الأهرام في

² إن من أجمل ما كتبه أنيس منصور كان كتاب "صالون العقاد كانت لنا أيام"، حيث أرخ في هذا الكتاب لحياة العقاد الفكرية والأدبية، وهو من أهم كتبه وأكثر مبيعا بين كتبه الطائل.

مايو عام ١٩٥٠ وبعد سنتين إنه سافر مع كامل الشناوي إلى أوربا، وفي ذلك الوقت قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وقام أنيس بإرسال أول مواضعه إلى أخبار اليوم حتى تركها في عام ١٩٧٦ ليصبح رئيسا لمجلس إدارة المعارف، وثم أصدر مجلة الكواكب. تراوح أنيس منصور بين الصحافة والأدب والفن والفلسفة، وكان من أصغر رؤساء التحرير في مصر حيث تولى رئاسة تحرير مطبوعة وهو لم يكمل الثلاثين من عمره، وتنقل بين أشهر المؤسسات الصحفية في مصر مثل أخبار اليوم وآخر ساعة والأهرام والهلال، حتى كلفه الرئيس أنور السادات مجلة أكتوبر في ٣١ أكتوبر ١٩٧٦م. وهي مجلة عربية سياسية اجتماعية شاملة ليكون رئيسا لمجلس إدارة دار المعارف حتى سنة ١٩٨٤. كتب منصور في جريدة الأهرام المقال اليومي الأكثر قراءة بعمود "المواقف" لسنوات طويلة، كما كان يكتب أيضا في صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية. وترأس تحرير العديد من المجلات منها الجيل، هي، آخر ساعة، أكتوبر، العروة الوثقى، مايو، كاريكاتير، الكاتب، روز اليوسف^١. حصل أنيس العديد من الجوائز التقديرية والمكافآت المالية، وفاز بلقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية بلندن.

كان أنيس منصور الصحفي الأول^٢ للسادات وصديقا مقربا وكاتما للأسرار، ويعلم الكثيرون أن ما في خزانة أنيس من الأسرار والحوارات والوثائق والتسجيلات لا يقدر بثمن ولم يكشف عنها حتى مات. تغير وضع أنيس تماما وأصبح من أقرب الصحفيين المقربين من الرئيس السادات وخشي عليه البعض من الاقتراب الزائد من السلطة الحاكمة، وكان في ذهنهم تجربة العلاقة المتميزة الكبيرة بين الرئيس جمال عبد الناصر والكاتب هيكل. كانت قناعتهم وقتئذ ولا تزال أن الاقتراب الزائد من السلطة أمر محفوف بالمخاطر، فالسلطة كالشمعة المتوهجة نعم تضيء لكن إذا اقتربت منها جدا قد تحرقك، لذا يجب الاحتفاظ بمسافة معينة بعيدا عنها. انه عاصر بفترة جمال عبد الناصر ومحمد أنور السادات وحسن مبارك، ولم يمت أنيس إلا بعد أن رأى سقوط نظام مبارك وانتهيار حكمه بعد ٣٠ عاما قضاها متربعا على عرش مصر. كما أشار من قبل إنه كان مقربا من أنور السادات واشتغل مستشارا شخصيا له، ورافقه في زيارته إلى إسرائيل والقدس، وشجعه على توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل، واعتبر من أنصار التطبيع والانفتاح الفكري على الدولة العبرية والعولمة. وهذه الموقف السياسية المداهنة المؤيدة والمرحبة بالتطبيع ومعاهدة السلام، جوبهت بالرفض وانتقاد الشديد والحاد من قبل أعلام الوطنية والتقدمية المصرية والعربية الملتزمة، التي أنبرت بالوقوف ضده و تعريته وكشف حقيقة سلوكه وموقفه، وقوطع هو ونجيب محفوظ من قبل المثقفين والمتأدبين المصريين والعرب من ذوي الميول اليسارية والعقائدية وأفكار الثورية الوطنية والمواقف الجذرية.

كتابات أنيس منصور

أن أهم ما يميز أنيس منصور أنه استطاع أن يربط بين الفلسفة والعلم والأدب، فلا نستطيع أن نقول إنه مجرد صحافي صرف، أو فيلسوف صرف، أو أديب صرف، ولكنه كان بوتقة تجتمع فيها كل تلك المواهب، بالإضافة إلى أنه غزير العلم والثقافة وهذا نموذج نادر الحدوث بالنسبة للمفكرين المصريين. كانت كتابات أنيس منصور في ما وراء الطبيعة في فترة من الفترات هي الكتابات المنتشرة بين القراء والمثقفين، ومن أشهر كتبه في هذا المجال "الذين هبطوا من

^١ وفي الصحافة تدرج أنيس من صحفي صغير إلى أن أصبح رئيسا للتحرير عدد من الإصدارات، كان أبرزها فترة رئاسته لتحرير جريدة "روز اليوسف" والذي فرح بخبر تعيينه فيها يوم حزنه بوفاة أمه التي كانت أهم أركان حياته.

^٢ إن أنيس كان ينتمي للتيار الذي أيد مبادرة الرئيس السادات للتطبيع مع إسرائيل، وكان يقوم بأدوار دبلوماسية متعددة خارج النطاق الرسمي بين السادات والإسرائيليين.

السماء"، "الذين عادوا إلى السماء" و"لعنة الفراغة". كما ترك أنيس عددا من المؤلفات التي تحولت لأعمال سينمائية ومسرحية وتلفزيونية، ومن أشهرها مسرحية "حلمك يا شيخ علام"، "من الذي لا يحب فاطمة" و"عندي كلام". وقد اشتهر أنيس بأدب الرحلات لما عرف عنه حبه وولعه بالسفر والتجوال، وربما كان الأول متخصصا في أدب الرحلات، وله في هذا المجال العديد من المؤلفات والإصدارات، أشهرها "حول العالم في ٢٠٠ يوم"، و"غريب في بلاد الغربية"، و"اليمن ذلك المجهول"، و"أنت في اليابان وبلاد أخرى"، و"أطيب تحياتي من موسكو"، و"أعجب الرحلات في التاريخ"، و"بلاد الله لخلق الله" وسواها. تفرغ أنيس في أواخر حياته لكتابته المقال السياسي والاجتماعي المعروف "مواقف" في جريدة الأهرام اليومية إلى جانب عموده اليومي في جريدة الشرق الأوسط. وكان أكبر قارئ في العالم العربي كما وصفه الأديب طه حسين، وساعده على ذلك إجادة عدة لغات أجنبية. لم يكن أنيس منصور يترجم ما يقرأ من مصادر الأجنبية، بل كان يهضم ما يقرأ تماما، ثم يبدأ في كتابه مقال عن الموضوع بعقل المفكر الفيلسوف فيضيف إليه معلومات ورؤية جديدة. إنه كان حريصا في عموده اليومي على أن يقدم للقارئ المصري والعربي معلومة جديدة أو أكثر في كل مقال، لقد كانت له طريقة أو توليفة خاصة في الكتابة يصعب تقليدها وانجذب لها ملايين القراء في الوطن العربي كله فأقبلوا على مقالاته وكتبه ومؤلفاته التي حققت أرقام مبيعات قياسية.

بالرغم من كل هذا لم يكن المفكر أنيس منصور متكبرا أو مغرورا على الإطلاق كما يظن البعض بل كان متواضعا، لكن في نفس الوقت كان على درجة عالية من الصفة والاعتداء بالنفس ربما يفسرها من لا يعرفه بالغرور والتعالي، كانت في شخصية أنيس منصور المتواضعة الكبرياء، وكان في كبريائه تواضع، وربما أنه تأثر بهذه الصفة من علاقته المبكرة وقربه وإعجابه بالأديب عباس محمود العقاد. بدون إذا تعرفنا مدى سعة اطلاعه وغزارة معلوماته وقوة حججه العقلانية نفهم عندئذ أن ما سمعه من قبل عن أنيس منصور كان أقل من الحقيقة.

مؤلفاته

إن قلم أنيس منصور تميز بالتدفق والقدرة التبسطة، واستطاع أن يبسط كثيرا من الفلسفات المعقدة، مما مكنه من توصيل أفكار كثيفة مثل الأديب الكبير عباس محمود العقاد إلى القراء وجماهير واسعة. وهو ذو إنتاج وفير وغزير، تربو مؤلفاته على ٤٠ كتابا، وله حكايات مزج فيها الواقع بالخيال، والسخرية بالفلسفة، كشخصية تتميز بنسيج يضم كل هذا، ولذلك يصعب أن يكون شبيهه، أو أن تتكرر شخصيته، ونحتاج ربما إلى قرن كي نجد مبدعا مثله. إنه نجح في تثقيف المصريين بغزارة إنتاجه وتنوعه، من خلال رحلاته حول العالم واحتكاكه بثقافات وحضارات إنسانية عديدة. وقد علم و ثقف أجيالا من خلال كتاباته وترجماته عن الفكر والفلسفة والمسرح، و بسطها للقارئ العادي بلغته الرشيقة والمتدفقة بسلاسة شديدة الوضوح. أن كتابته الصحفية اتسمت بالتنوع وغزارة المعلومات والقدرة العالية على جذب القارئ بطرائف وصور بلاغية جميلة.

ومن أهم صفاته الكتابية إنه كان يتميز بالروح الساخرة والأسلوب البسيط كما يشار من قبل، ولكنه كان من واقع حبه للفلسفة استطاع الكتابة عن أغوار النفس الإنسانية، ويتمثل ذلك في المقالات العشر الأخيرة له عن سيرته الذاتية، فهي سرد ودراسة عن النفس الإنسانية، وكان شديد التفاؤل ويبدو أيضا كثير التشاؤم. ومن كتبه "حول العالم في ٢٠٠ يوم،

^١ وفي فترة من الفترات كانت كتاباته في ما وراء الطبيعة، هي الكتابات المنتشرة بين القراء والمتقنين، ومن أشهر كتبه في هذا المجال "الذين هبطوا من السماء"، و"الذين عادوا إلى السماء" و"لعنة الفراغة"، كانت كتاباته تميل إليه بحسب اهتمامه بالفلسفة الذي بدأ في سن مبكرة.

^٢ سافر أنيس كثيرا، وكتب الكثير في أدب الرحلات، وألف كتبا عديدة، منها كتابه الأشهر "حول العالم في ٢٠٠ يوم"، كتاب الذي يعد أكثر انتشارا في عالم العرب وخارجه ويعتبر مكانه بين مائة كتب التي ألفت في العالم.

في صالون العقاد كانت لنا أيام، أعجب الرحلات في التاريخ، عاشوا في حياتي، الخالدون مائة أعظمهم محمد (ص)، الكبار يضحكون أيضا، الذين هبطوا من السماء، الذين عادوا إلى السماء، القوة الخفية، كائنات فوق، قالوا، مذكرات شاب غاضب، مذكرات شابة غاضبة، الوجودية، أرواح وأشباح، شارع التهديدات، اقرأ أي شيء، أحب وأكره، عبد الناصر المفترى لنا و المفترى علينا، وجع في قلب إسرائيل، وداعا أيها الملل، كيمياء الفضيحة، جسمك لا يكذب، غريب في بلاد الغريبة، اليمن في ذلك مجهول، أنت في اليابان وبلاد أخرى، أوراك على شجر، كتاب عن كتب، عريس فاطمة، هي وغيرها، بلاد الله لخلق الله، لعنة الفراعنة و أطيب تحياتي من موسكو" وغيرها.

جوائز التقديرية الهامة

حصد أنيس العديد من الجوائز التقديرية والمكافآت المالية، ومن أهمها الدكتوراه الفخرية من جامعة المنصورة، وجائزة الفارس الذهبي من التلفزيون المصري أربع سنوات المتتالية، و جائزة كاتب الأدب العلمي الأول من أكاديمية البحث العلمي، كما فاز بلقب الشخصية الفكرية العربية الأولى من مؤسسة السوق العربية في لندن، كما حصل الكاتب أيضا على جائزة مبارك في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠١. بدون إنه حصل على كاتب المقال اليومي الأول في أربعين عاما ماضية وجائزة الدولة التشجيعية في الآداب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٦٣م، و جائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨١م، وجائزة الإبداع الفكري لدول العالم الثالث عام ١٩٨١م، وله الآن تمثال في مدينة المنصورة.

الخاتمة

لم يكن أنيس منصور أديبا صحفيا كبيرا فحسب بل كان موسوعة بشرية متنقلة، كان ظاهرة وحالة فكرية وأدبية خاصة في الكتابة والصحافة في مصر والوطن العربي. لم يكن مجرد كاتب صحفي كبير مشهور بل كان فيلسوفا ومفكرا مبدعا ومتعدد المواهب، ومواطننا عالميا انفتح في سن مبكرة على العالم وثقافته المختلفة ودون أن ينسي جذوره المصرية. وفي الختام يمكن القول، بالرغم من الخلاف مع مواقف أنيس السياسية ونهجه وسلوكه الانتهازي، وانتمائه إلى مثقفي النظام، يبقى نموذجيا للكاتب والأديب المسكون باللغة والكلمة الجميلة والجماهير والريف والتاريخ المصري، ويبقى إرثه الفكري والأدبي وأعماله وكتابات الصحفية شاهدا على مساهمته ودوره في الحياة الأدبية والثقافية والفكرية والسياسية والإعلامية المصرية والعربية.

المصادر والمراجع

1. سليمان، مصطفى والسهيبي، أحمد، 'أنيس منصور'....الفيلسوف الذى أنس العالم العربي ب'مواقفه' لعقود طويلة العربية، الأخبار، 2011-10-22م.
2. أنيس_منصور، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
3. بدر، محمد بدر، أنيس منصور..... رحلة أدب والصحافة، ثقافة والفن، الأخبار، 22 أكتوبر 2011م.
4. أنيس منصور- ويكي الإقتباس، أنيس_منصور.
5. رحيل الكاتب المصري أنيس منصور، الثقافة والفن، الأخبار، 21 أكتوبر 2011م.
6. أكثر من حياة: ما أفضل 3 كتب قرأتها لأنيس منصور؟، الأخبار، 2011-10-24م.
7. حسن، شاكر فريد، تأملات في سيرة ومواقف الراحل أنيس منصور.
8. متجدد كل جمعه: جميع مقالات الكاتب"أنيس منصور" من خلال عمود "مواقف" بجريدة الأهرام 4-12-2009.